في النقد الترجمي

‘‘فضيحة الخضار والفواكه‘‘: في رواية ابنة الحظ

زيد العامري الرفاعي

هذ المقالة القصيرة هدفها التعرض سريعا لبعض الإشكاليات في الترجمة من اللغات الأُخرى إلى العربية ، وعلى وجه الخصوص آهلية المترجمين لنقل النصوص الأجنبية ومدى قدرتهم على التعبير باللغة الأم ، التي هي العربية. بمعنى آخر، تسعى هذه المقالة وبعجالة لتبيان ضعف الموارد اللغوية التي في متناول المترجمين مع سعتها في لغتهم . ومثل هذه الممارسات تُولد انطباعا ، عند غير الواعين لغوياً، أن العربية تتقاصر في أداء عملية الترجمة التي تعني ،بأبسط صورها، "التعبير بدقة وبصورة كاملة، عبر وسائل لغةٍ ما،عما عبرتْ عنه لغةٌ أُخرى بوسائلها اللغوية في إطار وحدة المضمون والشكل". [1]

وتأسيساً على ذلكَ، لن نتطرق للجوانب النظرية للترجمة ،وما أكثرها، ولا عن أهميتها كذلك. غير أننا نجد من المفيد التأكيد على أن الترجمة ببساطة هي دائما وفي المقام الأول عملية لغوية وإن علم اللغة هو القاسم المشترك والأساس لكل العمليات الترجمية؛ فضلا عن كونها عملية إبداعية: فن ذي أُصول علمية.[2] كانت الترجمة سبباً في دخول كثير من

التراكيب الغريبة والأجنبية للعربية[3] . وبشكل عام، عبر الترجمة تمر سلع مهربة كثيرة، كما يقول جورج مونان .[4]

بينما كنتُ أقرأ الترجمة العربية لرواية إسابَل أينده (أو أيندي) إبنة الحظ في القسم الثاني : فصل الوداع، إستوقفني التعبير التالي ''فضيحة الخضار والفواكه''. وأدركتُ أن ثمة اشكالية دلالية في الأمر، وهو ماتسعى هذه المقالة القصيرة لتوضيحه. سأتناول ترجمة كل من رفعت عطفة وصالح علماني؛ وهما الترجمتان الشائعتان ولا أعلم إن كانت ترجمة أُخرى لغيرهما. وسأُورد النصّ بتمامه لكلتيّ الترجمتيّن، فضلاً عن النصّ الإسباني والترجمة الإنجليزية من أجل تبيين الفكرة بجلاء مستعيناً بالسياق اللغوي لأهميته في هذه العملية. وبالسياق اللغوي، أعني المفردات والجمل الموجودة ما قبل ''التركيب الذي نناقشه'' و كذلك مابعدها من مفردات وجمل. والمقالة عبارة عن جملة ملاحظات مكونة من نقطتيّن تتناولها بعجالة ودونما تفصيل عميق.

1 – فضيحة الخضار والفواكه

في الصفحة 138 من ترجمة رفعت عطفة ، نقرأ التالي :

''ألقت نظرة حولها **فرأت فضيحة الخضار والفواكه** في ذلك الصيف الكريم؛<u>وهي من الوفرة بحيث لايمكن بيعها</u>

فالخضار تنمو في فضاءات البيوت والاشجار تتكسر تحت حملها من الثمار،وبالتالي قليلون هم المستعدون لدفع ثمن مايأخذونه مجانا‘‘.

أما ترجمة صالح علماني فهي في الصفحة 158

‘‘ألقت نظرة فيما حولها **فرأت فضيحة الخضار والفواكه** في ذلك الصيف السخي . لقد كانت هناك كميات كبيرة لايمكن بيعها. فالخضار تنمو في باحات البيوت والاشجار تتكسر تحت ثقل الثمار؛ وقلة هم المستعدون لدفع ثمن مايمكنهم الحصول عليه مجانا‘‘.

الترجمتان تقريبا متشابهتان؛ غير أنَّ المترجميّن لم يدركا معنى لفظة (el escándalo) في التركيب ‘‘فضيحة الخضار والفواكه‘‘. بمعنى آخر، أخفقا في إدراك البعد الدلالي للمفردة (el escándalo) الإسبانية وجاءت ترجماتهما نقلا حرفيا للمعنى القاموسي الاول لها وبذلك شوَّها معنى العبارة فخرجت عن سياقها . المعنى القاموسي للّفظة هو الفضيحة ومشتقاتها؛ غير أن السياق اللغوي هنا لا يدل على ذلك. فلا بد إذن من معنى آخر تحمله لفظة (el escándalo) الإسبانية. من معانيها الثانوية الفرعية هو الأتي: التعجب بمعنى الدهشة،الصدمة،الدلالة على غلاء

الأسعار فضلا عن رخصها ، إضافة الى معاني أُخرى.[5] وهنا بيت القصيد، إذ المعنى حسبما ورد في النص الإسباني مرتبط بالمفاهيم الأخيرة ومشتق منها. نحن نقول في العربية: الأسعار نار! فماذا يعني هذا؟ ألا يعني أن الأسعار مرتفعة وهناك غلاء مفرط لها؛ أو نقول أحياناً: الأسعار غير معقولة أو نظائرها ، وهو يعني أما مرتفعة أو منخفظة جدا وهنا يأتي دور سياق الحال في توضيح أيا منهما . بتعبير آخر، نغمة الصوت: ارتفاعا وانخفاضا، تقاسيم الوجه وغيرها.

القراءة الدلالية للمفردة الاسبانية داخل النص تدّلْ على الإنتاج الوفير لمحصولي الخضار والفواكه، بمعنى الإتساع والإنتشار وهو ما توحيه لفظة ‘‘الفضيحة‘‘ الإسبانية من حيث الإنتشار . والمعروف عند المشتغلين بالأمور المعجمية أن اللفظة لها معنى رئيسي يأتي في بداية التعريف القاموسي له ثم تتشقق منه المعاني الأخرى، إنْ كانت ذات صلة بالمعنى الأول أو لم تكن . وهذه المسألة ليست محل مناقشتنا هنا.

وكما ذكرت فالسياق اللغوي (تراكيب كاملة على مستوى العبارات- أي جمل- وليست مجرد ألفاظ معينة، كلها تأتي مباشرة بعد اللفظة محل الدراسة) الواضح وضوح الشمس

في رابعة النهار يدل على ماذهبنا إليه وهو ما وضعتُ تحته خط في كلتيّ الترجمتيّن ولاحاجة لإعادته بنصه.

الأمر الآخر وله صله بما عرضتهُ في أعلاه هو أن الفعليّن ‘‘ألقت نظرةً فرأت’’ يحتملان الرؤية العلمية أكثر من البصرية، وسندنا في هذه الدعوى هو المقام أيضاً. فبخصوص الأولى يتوجب النظر الى العبارات الواردة قبل النص محل الدراسة وأما الثانية فالنص المدروس دليلها؛ ولست بوارد الإطالة هنا، وإنما وددت التلميح له.

مما يعزز وجهة النظر التي قلنا بها هو أن المترجم الانجليزي لم ينقل لفظة (el escándalo) الإسبانية إلى مرادفتها الانجليزية (scandal) بمعنى الفضيحة ، وكان ذلك عليه أيسر وأسهل وهي من الألفاظ المعروفة بال (cognates) المشتركة في الأصل من جهة تأثيلها لانها مشتقة في كلتيّهما من اللغة اللاتينية وهي مصدر كثير من المفردات في الانجليزية ولاحاجة أيضا لإيراد الأمثلة التي يمكن مراجعتها في أي معجم متخصص في التأثيل (etymology) لمن أراد التعمق في الأمر.

ولهذا كان المترجم الإنجليزي أكثر وعيا لغويا فأتى بلفظة (riot) لتدل تماما على لفظة (el escándalo) في هذا المقام على وجه الخصوص. فمن معاني لفظة (riot) هو النمو المفرط للنبات، وانتشاره كانتشار الأدغال.

وأطرح ترجمة بديلة ،لكل النص المدروس، تقترب من اسلوب العربية، حسبما أظن، والحكم متروك لفطنة القارئ اللبيب. وأرفقه بالنصيّن الأصلي(الإسباني) والإنجليزي.

النصّ العربي البديل

نظرتْ (أي تمعنت فيما حولها) حولها وعَلِمَتْ بفائض انتاج فواكه وخضروات ذلك الصيف السخي ؛ إذ أصاب سوقها الكساد بسبب كثرة وفرتها. فالخضروات غزتْ حتى باحات البيوت أما الاشجار فقد انحنتْ أغصانها وتدلتْ من كثرة ماتحمله من ثمار. وقلةٌ من الناس كانت مستعدةً لأن تشتري مابإمكانها الحصول عليه مجانا.

النصّ الإسباني

Echó una mirada a su alrededor y vio el escándalo de verduras y frutas de aquel verano generoso. Tanta había, que no se podía vender. Las hortalizas crecían en los patios y los árboles se quebraban bajo el peso de la fruta; pocos estaba dispuestos a pagar por lo que conseguían gratis.

النصّ الإنجيليزي

She took a good look around and saw the riot of vegetables and fruits of that generous summer. There was more than could be sold. Vegetables were growing in every patio and trees were bowed beneath the weight of their fruit; few people were inclined to pay for what they could have for free.

بقي أمر آخر وددتُ إدراجه بعجالة وإن لم يكن وثيق الصلة بما طرحته في أعلاه، لكنه متعلق ايضاً بالفهم الدلالي للمفردات وكيفية نقلها للعربية ؛ وقد ورد في افتتاحية الرواية.

2 - افتتاحية الرواية

هنا نجد أن الترجمة الإنجليزية تنجح في نقل المعنى بيسر وسهولة ؛ ولست هنا في مجال دراسة مقارنة إطلاقا، إنما هي ملاحظات عابرة ليس إلا كما قُلتُ آنفاً.

(Todo el mundo nace con algún talento especial)

(Everyone is born with some special talent)

أما الترجمة العربية فيسودها الغموض بل لنقل عدم الدقة. فرفعت عطفة في ص7 ينقلها كالأتي '' كل العالم يولد وعنده فطنة ما خاصة''. وهو نقل حرفي كما ترى لأن المفردة الإسبانية تعني ''كل فرد ؛ وكل ابن آدم''، أم لفظة ''كل العالم'' فهي ترجمة غير موفقة بسبب النقل الحرفي جداً الذي أفقدها دلالتها الأصلية فضلاً عن قلة شحنتها الأدبية. ويزيد صالح علماني الغموض فيأتي بلفظة ''الجميع'' وكأنه يحيل إحالة سبقية (anaphoric) إلى مفردةٍ أو نصٍ تقدم ذكرهما. وتمام عبارة صالح علماني في صفحة 9 هي الآتي: ''الجميع يولدون مزودين بموهبة ما''. تأمل مفردة ''مزودين'' مثلا: هل فيها شحنة أدبية ؟

وسبب ذكري لها هو أن افتتاحية أي نصّ مهمةٌ جدا لكونها نقطة الانطلاق في توجيه فضلاً عن تَكَشُفْ (unfolding) معنى مايطرحه الكاتب لاحقا. وفي كلتيّهما، لا بداية الجملة و لا لفظة ''فطنة'' أو ''موهبة'' أفلحتا في نقل المراد. حقيقة الأمر، لا يُولدْ كل فرد وله موهبه ما. فإن كان الأمر كذلك،

فكل منا إذن يحمل موهبة وهو خلاف الواقع. إن المراد من لفظة (talento) التي استخدم المترجم الإنجليزي نسيبتها وقرينتها اللغوية (talent) هو المَلَكَة والإمكانية والقابلية. والجملة إجمالاً عند كليّهما أقرب الى الإنشاء الصحفي منه الى اللغة الأدبية.

وأقترح ترجمة بديلة تتفق وروح العربية في التعبير:

كل مولود يبصر النور ومعه مَلَكَه معينة تميزه عن الآخرين. وهي تعني عند القارئ اللبيب أن كل مولود يُولد حاملاً معه (أو تُولد معه) مَلَكَه من نوع ما ينفرد بها عن الأخرين.

في الختام، نرى أنَّ الخضار والفواكه بريئتان جداً من الفضيحة التي رموهما بها المترجمان؛ بل الفضيحة تعود عليهما. وإذا كان المترجم غير قادر على فهم الدلالة، فما جدوى ترجمته إذن!!!.أليس وظيفة الترجمة هي التفسير، فإن لم يكن القائم بالتفسير على علم بمادته ، فكيف يستطيع إذن نقل ذلك للقارئ. وهذه الإشكالية هي غيضٌ من فيض مشاكل التعبير بالعربية عند الجَمْ الغفير من المترجمين والذنب ليس ذنب اللغة بل مستخدم اللغة الذي لايجيدها ولا يُحسن الأداء بها. فتجد الأعم الأغلب من الترجمات مكتوبة بأبجدية عربية لكن تراكيبها "كايميرية chimera" وهو أمر غريب ومخيف لاتجد له نظيراً إلا عند مستخدمي لغة

الضاد وأصبح من الأمراض ‘‘المتوطنة‘‘ التي لا سبيل لاستئصالها.

الهوامش

---

[1] اندريه فيدوروف ونظريته في الترجمة. ترجمة زيد العامري الرفاعي عن الإسبانية. موجود على الشابكة.
[2] المرجع السابق .
[3] الترجمة العلمية : مقاربة لغوية. زيد العامري الرفاعي. بحث قُدم لمؤتمر الترجمة والاتصال الجماهيري . جامعة تشرين السورية 25-29، حزيران 2006 . موجود على الشابكة.

[4] جورج مونان. علم الترجمة واللغة . ترجمة محمد زكريا ابراهيم المجلس الأعلى للثقافة. 2002.لمرجع السابق. وبهذا الخصوص أشار الأستاذ الدكتور يوئيل يوسف عزيز مبكراً ،في اطروحته للدكتوراه عام 1967 ، عن تأثير الروائيين العرب في نقل تراكيب اللغات الأجنبية، وعلى وجه الخصوص الانجليزية، للغة العربية.وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما يسمى بالعربية المعاصرة تبتعدُ كثيراٍ عن اللغة العربية في عصورها المختلفة . ويُطلق خطأً على ذلك بالتطور اللغوي وحقيقة الأمر هو تغيّر لغوي والذي يحمل في طياته في أغلب الأحايين الهبوط وليس الصعود في استعمال اللغة؛ لأن التطور بمعناها الحياتي (=البيولوجي)، هو بلوغ الغاية في الكمال فضلا عن حصول التحسين فيه.

https://www.collinsdictionary.com/dictionary/spanish-english/esc%C3%A1ndalo